ظاهرة الهمز

الهمزة عند القدماء :

تناول علماء اللغة القدماء موضوع صوت الهمزة وأفرد بعضهم مباحث خاصة للحديث عن الهمزة في كتبهم . يقول الخليل : (والهمزة مخرجها من أقصى الحلق مهتوتة مضغوطة ، فإذا رُفِّه عنها لانت فصارت الياء والواو والألف عن غير طريقة.

ويقول سيبويه : الهمزة حرف مجهور من أقصى الحلق.

وقال المبرد : الهمزة حرف يتباعد مخرجه عن مخارج الحروف ، ولا يشركه في مخرجه شيء ولا يدانيه إلا الهاء والألف، والهمزة أيضاً : حرف شديد مستثقل يخرج من أقصى الحلق ، إذْ كان أدخل الحروف في الحلق ، فاستثقل النطق به إذ كان إخراجه كالتهوع.

وذكر ابن جني أن مخرج الهمزة من أسفل الحلق وأقصاه

أما ابن سينا فله رأي آخر حيث يقول : فإنها تحدث من حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرّجهالي الحاصر زماناً قليلاً لحفز الهواء ثم اندفاعه على الانقلاع بالعضل الفاتحة وضغط الهواء معا).

ويذكر ابن الجزري : أن الهمزة والهاء اشتركا مخرجا وانفتاحا واستفالا وانفردت الهمزة بالجهر والشدة

الهمز عند المحدثين :

بحث عدد من الدارسين المحدثين مخرج صوت الهمزة وصفتها .

يقول محمود السعران : يحدث هذا الصوت بأن تُسد الفتحة الموجودة بين الوترين الصوتين ، وذلك بانطباق الوترين ، انطباقاً تاماً فلا يسمح للهواء بالنفاذ من الحنجرة يضغط الهواء فيما دون الحنجرة ، ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثا صوتا انفجارياً.

ويقول عبد الصبور شاهين عن مخرج الهمزة : صوت يخرج من الحنجرة ذاتها نتيجة انغلاق الوترين الصوتيين تماماً ، ثم انفتاحهما في صورة انفجار مهموس ، فهي إذن صوت حنجري انفجاري مهموس وهي بذلك تعد من الصوامت.

ويقول كمال بشر : بأنّ الهمزة هي أول الأصوات العربية مخرجاً حكم سليم ولكنها ليست من أقصى الحلق ، وأنما هي من الحنجرة.

ويقول الدكتور أنيس : والهمزة صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقًا تامًا فلا نسمع لها ذبذبة الوترين الصوتين، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة.

ويقول محمد محيسن : وهي من أصعب الحروف لبُعد مخرجها ولأنها تجتمع فيها صفتان من صفات القوة هما الجهر والشدة.

مما سبق وبعد عرض عدد من آراء علماء اللغة العربية فيما يخص مخرج الهمزة ووصفها ، يمكننا أن نلحظ رؤية علماء العربية القدماء تجاه هذا الصوت ومخرجه وصفاته ، فهم يكادون أن يجمعوا على أن مخرج الهمزة هو من أقصى

الحلق ، كما جاء في رأي الخليل ، وسيبويه ، وابن يعيش ، وابن جني .

أما ابن سينا فوصف لنا كيفية النطق بصوت الهمزة كما مرّ بنا . أما علماء اللغة المحدثون ، فقد ذهبوا إلى أن مخرج الهمزة هو الحنجرة ، فالهمزة عندهم صوت حنجري انفجاري كما جاء في رأي محمود السعران ، وكمال بشر، وإبراهيم أنيس وغيرهم. وقد اختلف القدماء والمحدثين في تحديد مخرج الهمزة ، فالقدماء جعلوا مخرج الهمزة من أقصى الحلق ، بينما المحدثون جعلوا مخرج الهمزة في منطقة الحنجرة .

أما عن وصف صوت الهمزة ، فقد ذهب القدماء إلى أن صوت الهمزة مجهور كما رأينا ذلك في قول ابن الجزري : إن الهمزة والهاء اشتركا مخرجا وانفتاحا واستفالاً وانفردت الهمزة بالجهر والشدة .

ووصف إمام العربية سيبويه صوت الهمزة بقوله : فأما المجهورة فالهمزة ، والألف ، والعين ، والغين ، والقاف ، والجيم ، والباء).

أما المحدثون فقالوا : إنّه صوت غير مجهور ، بيد أنهم اختلفوا في وصفه ، فقد ذهب بعضهم إلى أنها مهموسة ، وذهب البعض الآخر إلى أنها صوت لا هو مجهور ولا هو مهموس ، ولكل من الفريقين دليل بنى عليه رأيه ، فالقائلون بالهمس بنوا رأيهم على أساس أن الهمزة لا يتذبذب معها الوتران الصوتيان

، حيث ينحبس الهواء الخارج من الرئتين ، يقول الدكتور رمضان عبد التواب :

والهمزة صوت أصيل في اللغات السامية كلها ، وهو صوت حنجري شديد مهموس ، ينطق بأن يلتقي الوتران الصوتيان أحدهما والآخر التقاءً محكماً يحبس خلفهما الهواء الخارج من الرئتين حتى إذا زال الالتقاء سمعت للهواء المحبوس انفجارًا هو صوت الهمزة، وأما القائلون بأن الهمزة صوت لا هو مجهور ولا هو مهموس ، فقد بنوا رأيهم على أساس أن صوت الهمزة إذا انطلق من مخرجه إما أن يؤثر في الوترين الصوتيين فيحدث الجهر ، أو لا يؤثر فيهما فيحدث الهمس ، يقول الدكتور أنيس :

والهمزة صوت شديد لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ، لأن فتحة المزمار معها مغلقة إغلاقا تاماً ، فلا نسمع لها ذبذبة الوترين الصوتيين ، ولا يسمح للهواء بالمرور إلى الحلق إلا حين تنفرج فتحة المزمار ، ذلك الانفراج الفجائي الذي ينتج الهمزة ، وتكاد تجمع كتب العربية على أن تحقيق الهمزة من لهجات تميم وأسد وقيس ومن جاورها ؛ أي قبائل وسط شبه الجزيرة وشرقيها ، وأن تسهيلها لهجة أهل الحجاز، ويسأل الدكتور إبراهيم أنيس قائلا : (كيف تَأتّى أنّ البيئة الحجازية التي عُرفت بالتأني في الأداء ، ولم يشتهر عنها إدغام أو إمالة ، أن تعمل على التخلص من الهمزة في نطقها ؟ إذْ التخلص من الهمزة نوع من الميل إلى السهولة والبعد عن التزام التحقيق في النطق بالأصوات، و يرد عليه الدكتور عبده الراجحي قائلا : والذي عندنا أن تحقيق الهمزة يناسب البيئة البدوية ، إذ ثبت أنها صوت شديد لأنها صوت حنجري انفجاري لا هو بالمجهور ولا بالمهموس.

ولقد أدرك القدماء هذه الحقيقة عن الهمزة فعبر غير واحد منهم عن ثقلها وصعوبتها في النطق، يقول ابن جني : وإنما لم تجتمع الفاء والعين ، ولا العين واللام همزتين ، لثقل الهمزة الواحدة لأنها حرف سفل في الحلق وبَعُد عن الحروف ، وحصل طرفا ، فكان النطق به تكلفا، ويقول ابن يعيش : الهمزة حرف شديد مستثقل من أقصى الحلق إذ كان أدخل الحروف في الحلق فاستثقل النطق به إذْ كان إخراجه كالتهوع فلذلك الاستثقال ساغ فيها التخفيف وهو لغة قريش وأكثر أهل الحجاز وهو نوع استحسان لثقل الهمزة ، والتحقيق لغة تميم وقيس ، قالوا لأن الهمزة حرف فوجب الإتيان به كغيره من الحروف.

أحوال الهمزة في اللغة العربية

للهمزة في اللغة العربية ثلاثة أحوال : التحقيق والتسهيل والتحويل ، قال أبو زيد الأنصاري في اللسان : الهمز على ثلاثة أوجه : التحقيق والتخفيف والتحويل ، فالتحقيق منه أن تعطي الهمزة حقها من الإشباع ، فإذا أردت أن تعرف إشباع الهمزة فاجعل العين في موضعها كقولك من (الخبء) : قد (خبأت لك) بوزن (خبعت لك) ، و(قرأت) بوزن (قرعت) ، فأنا (أخبع) ، و(أقرع) ، وأنا (خابع و خابيء) و(قاريء) نحو(قارع) . والتخفيف من الهمز إنما سموه تخفيفا لأنه لم يعط حقه من الإعراب والإشباع ، وهو مُشرَبٌ همزا ، تصرف في وجوه العربية بمنزلة سائر الحروف التي تحرك كقولك : (خبات وقرات) فجعل الهمزة ألفا ساكنة على سكونها في التحقيق وأما التحويل من الهمز ، فأن تحول الهمزة إلى الياء والواو كقولك (قد

خبيت المتاع فهو مخبّئ ، فهو يخباه) ، تقول (رفوتُ الثوبَ رفوا) ، فحولت الهمزة واوا .

ويبين سيبويه السبب في تخفيف الهمز، فيقول : اعلم أن الهمزة إنما فُعل بها هذا (التخفيف) لأنها بَعُدَ مخرجها ، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد ، وهي أبعد الحروف مخرجا ، فثقل عليهم ذلك ؛ أي تحقيق الهمزة ، لأنه كالتهوع.

ويقول السيوطي : اعلم أن الهمز لما كان أثقل الحروف نطقا ، وأبعدها مخرجا ، تنوع العرب في تحقيقه بأنواع التخفيف ، وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم تخفيفا ولذلك أكثر ما ورد تخفيفه من طرقهم.